المنهج التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام، المبادئ والأهداف

The educational approach in the thought of Imam Ali, peace be upon him, principles and goals

الدكتور سيد زهير المسيليني(*) Dr. Sayed Zuhair Al-Messilini

الدكتورة فائزة بسندي(**) Dr.Faezeh Pasandi

تاريخ الإرسال: 15-3-2024 **تاريخ القبول: 27-3-2024**

الملخص

تعدُّ التّربية والتزكيّة من الأهداف المهمّة للرسالات الإلهية قاطبة لأنّها تتعالى بالإنسان إلى مراتب الكمال النهائي الذي أراده الله سبحانه للإنسان، ولهذا نجد أنّ القرآن الكريم حينما تحدّث عن هدف بعثة النبي الخاتم(ص) أعطى للتزكية والتربية المكانة الأولى ومن ثم أردف بالتعليم بل يمكن القول إنّ القرآن الكريم كتاب فريد في منهجه التربوي؛ وكذلك سيرة الرسول الأعظم والأئمة خلفائه من أهل بيته(عليهم السلام).

فإنّ للتربية في منهج الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) أهمية كبرى لا لأنّه أعلم بها فقط، بل لأنّه طبقها وأعطاها مكانتها الطبيعيّة في حياة الأمّة الإسلاميّة، بل أنّه وسمها بالسّمة الإسلاميّة الحقيقية التي أرادها الله سبحانه وتعالى، لقد كانت النّظرة الموضوعيّة في أساليب التربية عند الإمام علي(عليه السلام) مميزة، وجادة اتّسمت بالعمق والشّموليّة والتّطبيق العلمي، وارتكزت على مبادئ وأهداف تنسجم مع الفطرة الإلهيّة منها التّفكر والتّدبر، الدّعوة إلى العدل، تقوى الله، مقارنة العلم بالعمل، نقل التراث الثقافي، التغيير، التّحذير من الوقوع في الفتن.

* مدير قسم أصول الدين الإسلامي في جامعة المصطفى العالميّة، جرجان، إيران.

- Director of the Department of Islamic Theology at Al-Mustafa International University, Gorgan, Iran. Email: abo_zaynab202@yahoo.com

** أستاذ مساعد، جامعة فرهنجيان كليّة التربية، أصفهان، إيران.

Assistant Professor, Farhangian University,Isfahan, Iran. Email: f.pasandi@cfu.ac.ir

وفي هذا البحث على أساس المنهج الوصفي التاريخي، والتّحليلي حاولنا تسليط الضوء على هذه المبادئ المهمّة، والأهداف للمنهج التّربوي من خلال كلمات وصي الرّسول الإمام علي(ع) وسلوكه العمليّ، وهي كثيرة جدًّا لكنّنا سنقتصر في الإشارة إلى بعضها آملا أن تكون نبراسًا نقتدي بها في حياتنا، وسلوكياتنا وواقعنا الحياتي اليومي لننال بها سعادة الدّنيا والآخرة أنّه سميع مجيب.

الكلمات المفاتيح: المنهج، التّربيّة، الإمام علي(ع)، المبادئ، الأهداف.

Abstract

Education and purification are considered among the most important goals of all divine messages because they elevate man to the levels of final perfection that God Almighty intended for man. This is why we find that the Holy Qur'an, when it spoke about the goal of the mission of the Final Prophet (PBUH), gave purification and upbringing the first place, and then added education. In fact, it can be said that the Qur'an Al-Karim is a unique book in its educational approach, as well as the biography of the Greatest Messenger and the Imams, his successors from his family (peace be upon them).

Education in the approach of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) is of great importance, not only because he was most knowledgeable about it, but also because he applied it and gave it its natural place in the life of the Islamic nation. Rather, he marked it with the true Islamic characteristic that God Almighty wanted. It was an objective view of methods. Education according to Imam Ali (peace be upon him) was distinctive and serious, characterized by depth, comprehensiveness, and scientific application, and was based on principles and goals that were consistent with the divine nature, including contemplation and contemplation, calling for justice, fearing God, comparing knowledge with work, transmitting cultural heritage, change, and warning against falling into temptation.

In this research, based on the descriptive, historical and analytical approach, we tried to shed light on the most important principles and objectives of the educational curriculum through the words of the guardian of the Messenger, Imam Ali (peace be upon him), and his practical behavior. They are very many, but we will limit ourselves to referring to some of them in the hope that they will be a beacon for us to emulate in our lives, our behaviors, and our reality. My daily life so that we may

Keywords: curriculum, education, Imam Ali (peace be upon him), principles, goals.

attain happiness in this world and the hereafter. He is the Hearer and the Answerer.

المقدمة

يثير الحديث عن المناهج التربوية بما تمتلكه من مبادئ وخلفيات فلسفيّة في واقعنا المعاصر أسئلة شتّى، لأنّ ما أفرزته تجارب الفكر الفلسفي المعاصر في الحقل التربوي من مشاكل، وما طرحه التطبيق الفعلي لبرامجه التربوية من أسئلة عديدة ونقاط فراغ لم تُملأ إلى الآن، وما قُدِّم على هذا الصعيد من حلول من مكاتب فلسفيّة، وتربويّة على مستوى العالم الغربي أدلة كافية على مرحلية تلك المناهج، وعدم صلاحيتها للامتداد وإثراء المسيرة الإنسانيّة بما ينسجم وفطرة الإنسان وتطلعه نحو الكمال، وعدم كفائتها في اكساب الواقع الاجتماعي قدرة على النّمو والتطور، ما أدّى إلى ظهور أصوات عديدة تدعو إلى ضرورة إعادة النّظر في تلك المناهج، ولزوم تعديلها بما يتناسب واحتياجات الإنسان، وللأسف الشّديد إنّ حال المناهج التّربوية السائدة في المجتمعات الإسلاميّة لا سيما التي تُدرّس على مستوى الجامعات لم تكن بأوفر حظًّا من تلك المناهج الغربيّة، لأنّها مجرّد تغطية للفكر العلماني باعتماد أُطر منهجيّة في ترسيخه على حساب الفكر الإسلامي، خدمة لأهداف أيديولوجيّة معينة تسعى السلطة لتحقيقها، حتى عاد المنهج التّربوي في أكثر البلاد الإسلاميّة حارسًا للنظام القائم في هذا القطر أو ذاك.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح أنّ المنهج التّربوي الصحيح هو ما تجاوز في مبادئه، وأهدافه حدود الزّمان والمكان، وانسجم مع فطرة الإنسان وتطلعاته وغاية وجوده، وهذا المنهج هو منهج الإسلام بخطوطه العريضة الواسعة الذي يسلّم بأهمية الفرد وأسبقيته الوجوديّة في المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى يعطي للمجتمع عناية خاصة مركزة بوصفه الأساس الذي تجري عليه السّنن التّاريخيّة في نشوء الحضارات وفنائها، وفي بقاء الأمم وهلاكها. وقد تصدى الإمام علي عليه السّلام لبيان هذا المنهج التربوي الذي ورثه عن رسول الله(ص) واستقاه من القرآن الكريم في مواضع كثيرة من خطبه، ومواعظه وكلماته ومن هنا انطلق هذا البحث الماثل بين يدي القراء لتوضيح معالم هذا المنهج العلوي ومبادئه وأهدافه.

هدف البحث: والهدف من الدراسة هو التعرف إلى المبادئ والأهداف التّربوية للإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) من خلال بعض خطبه، وتوجيهاته في نهج

البلاغة والاستفادة من الجوانب التّربوية في فكر الإمام علي(ع) من أجل تأصيل الفكر التّربوي الإسلامي.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها «أنّ للإمام علي بن ابي طالب(ع) منهج تربوي يتّسم بالشموليّة، والعمق والتطبيق العملي استقاه من القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم(ص).

منهجية البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التّاريخي التحليلي لكونه المنهج الذي يعوّل عليه في تحليل معطيات العصر عبر التاريخ، والاتجاهات الاجتماعيّة والثقافيّة للمجتمع الإسلامي فضلًا عن دراسة فكر الإمام علي(عليه السّلام) وآرائه التربويّة التي تحتاج إلى التحليل.

أهمية البحث: أن التربية بمفهومها العام من أكثر المفاهيم التي تحدث عنها الإمام علي(عليه السلام) في خطبه، ومواعظه وما أحوجنا اليوم إلى تربية الإمام وأخلاقه وعدله ويمكن تلخيص أهمية البحث في النقاط الآتية:

1 - أنّ شخصية الإمام علي(عليه السلام) شغلت الدارسين على مختلف مدارسهم الفكرية والمذهبيّة، وأفردوا له دراسات شملت جوانب عديدة من شخصيته، ولكن جانب التربية عندهم لم يحظ بدراسة كافية، وإنّ درس فهو يحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة.

2 - أنّ مثل هذه الدراسات ستسهم في الكشف عن مبادئ التربية وأهدافها في فكر الإمام علي(عليه السلام).

3 - تسهم الدراسة في الرد على القائلين ليس للمسلمين أثر في التحديث التربوي، وإنّما أثرهم ينحصر في النقل عن الشّعوب الأخرى ولاسيما الغربيّة منها.

خطة البحث: وتقتضى خطة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. فتحدثنا في المقدمة عن واقع المناهج التّربوية في عصرنا الحالي وعن خطة البحث ومنهجه وأسباب اختياره، والفرضيّة التي انطلق منها البحث، وفي التمهيد تحدثنا عن معنى المنهج، والتّربية في اللغة والاصطلاح وختمناه بالحديث عن مفهوم التربية في فكر الإمام علي(عليه السلام) بينما تحدثنا في المبحث الأول: عن مبادئ المنهج التربوي المهمّة عند الإمام(ع) وفي المبحث الثاني:عن أهداف المنهج التربوي المهمّة عند الإمام(ع) وختمت البحث بسرد النتائج المهمّة التي توصلت إليها من خلال البحث.

تمهيد: المفاهيم التّصورية

أولا: تعريف المنهج لغةً واصطلاحًا

المنهج في اللغة:المنهج في اللّغة أخذ من النهج وهو الطريق، وطريق نهج:

أي بيّن وواضح، ومنهج الطريق: وضّحه، وانهج الطريق: وضّح واستبان، وصار نهجًا واضحًا بيّنًا والمنهاج: كالمنهج، الطريق الواضح. واستنهج الطريق: صار نهجًا وانهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجًا واضحًا بيّنا وفلان يستنهج نهج فلانٍ أي يسلك مسلكه[1] وقال الراغب الأصفهاني: النهج: الطريق الواضح، ونهج الأمر وانهج: وضح ومنهج الطريق ومنهاجه، نهج الثوب وانهج: بإن فيه أثر البلى، وقد انهجه البلى[2]. وقال الطريحي: المنهاج: الطريق الواضح المستقيم، فقوله في التنزيل العزيز: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً**﴾[3] شرعة ومنهاجًا أي: دينًاواضحًا[4] وهكذا نجد أن أصل المنهج في اللغة يدور حول معنى الطريق والسّبيل الواضح المستقيم، وقد رأينا أنّ هذا المعنى للمنهج استحضرته أيضًا الآية الكريمة في الاستعمال القرآني. وكلمة المنهج في الأدبيات المعاصرة مترجمة من الكلمة الإنجليزية (method) وهي مشتقة من كلمة تعني: البحث أو النّظر أو المعرفة كما استعملها أفلاطون، وأرسطو وإن كانت في معناها الاشتقاقي تلتقي إلى حدّ التّطابق مع معناها اللغوي العربي إذ تشير إلى الطريق أو السّبيل المؤدي إلى الغرض المطلوب[5].

المنهج في الاصطلاح: إنّ المعنى اللغوي «للمنهج» يسهل لنا المهمة في المراد من المعنى الاصطلاحي له، إذ قد يُطلق المنهج ويراد به تارة هيئة الاستدلال وصورته، ولهذا نسمّى المنطق الأرسطي بالمنطق الصورى، لأنّه يبيّن شكل الاستدلال، فيكون المقصود بالمنهج ممارسة الاستدلال القياسي في القضايا العلمية، والقياس إمّا أن يكون من الشكل الأوّل أو من الشكل الثاني أو من الشكل الثالث ونحو ذلك[6].

وقد يُطلق ويراد به الأدوات الفنية التي تضبط البحث وتنمّطه وفق الصيغ المألوفة في العلوم. فعندما يُطلق المنهج التّاريخي مثلًا يراد منه المراحل التي يسير خلالها الباحث التاريخي وفقًا لما هو معروف من جمع الوثائق وإخضاعها للنقدين الخارجي والباطني، ثم صياغة الواقعة التاريخية وأخيرًا تعليلها.

ونحن لا نقصد هذا المعنى للمنهج الذي ينزل به إلى مستوى الأدوات الفنيّة لضبط الكتابة فحسب، ولا المعنى الأوّل. إنّما نريد به معنىً ثالثًا وهو: مجموعة القواعد التي يقف عليها الإنسان للدّخول إلى استنباط حقائق أو عقائد معيّنة، أيّ الكشف عن طبيعة القواعد التي نعتمد عليها لفهم الواقع. فقد نعتمد القواعد العقلية لاكتشاف الواقع، أو نعتمد النصّ طريقًا إليه، أو مكاشفة العارف سبيلًا إلى اكتشاف الواقع[7] فعندما نأتى إلى الأبحاث العقائدية أو الأبحاث التّفسيرية أو أيّ بحث آخر

ونطلق كلمة «المنهج»، فمرادنا مجموعة القواعد التي يتمّ الانطلاق منها لفهم حقيقة من الحقائق. فما يستند إليه الباحث من مجموع قواعد هو المراد بالمنهج. فهناك المنهج العقلي وهو منهج ثابت في نفسه وفي الحقل الذي يعمل به، وهناك المنهج النصّي وهو منهج آخر، والمنهج العرفاني منهج ثالث وهكذا[8] ولذا عرّفوا المنهج بأنّه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[9] وهذا هو المعنى الشّائع للمنهج الذي يصرفه إلى القواعد التي يستخدمها الإنسان في كلّ حقل من حقول المعرفة.

ثانيًا: تعريف التربية في اللغة والاصطلاح

التربية لغة: ذكر علماء اللغة معان لمفهوم التربية منها ما ذكره ابن منظور في لسان العرب حيث قال: رَبا الشئَ يَربو رَبْوًا ورِباءً بمعنى: زاد ونما، وأربَيْته: بمعنى نَمَّيْته وفي التنزيل العزيز ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾[10] وذهب بعضهم إلى أنّ معنى التربية لغة مأخوذة من "ربى ولده، والصبي يربه، رباه أي أحسن القيام عليه حتى أدرك"[11] وأشار آخرون إلى المعنى اللغوي بالقول "رَبَّ، يُرَبِّ الوَلَدَ، بمعنى تعهده وربّاهُ وادّبَهُ"[12].

ويمكن تلخيص المعنى اللغوي لكلمة التربية إلى أصول ثلاث وهي:

1- ربا، يربو: بمعنى زاد ونما

2- ربي، يربى بوزن خفي يخفى بمعنى نشأ وترعرع

3- رب، يرب: بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه.

وبذلك تكون معاني التربية في اللغة: الزيادة والنمو والنشوء والترعرع والإصلاح والرعاية والسياسة وتولي الأمر.

التربية اصطلاحًا: هناك تعريفات كثيرة للتربية لجهة الاصطلاح وهي متشابهة تقريبًا في أكثرها ومستفادة من المعنى اللغوي، فمنهم من قال إنّ التربية هي» إعطاء الجسم والرّوح كلّ ما يمكن من الجمال، وكلّ ما يمكن من الكمال»[13] وفي مثله ما ذكره الغزالي في معنى التربية إذ يقول: "التربية تشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشّوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه"[14] وما يهمنا هنا في تعريف التربية هو ما أراده الإمام علي(ع) في كلماته والتي تفسّر حقيقة مفهوم التربية من وجهة نظر إسلاميّة دينيّة. فالإمام(ع) يرى أنّ الإنسان هو غاية الوجود، والهدف من خلقته هو الوصول إلى الكمال النهائي الذي اراده الله تعالى له، وجعله خليفته في أرضه، ولكي يصل إلى كماله يجب عليه الالتزام في أقواله وأفعاله

ومقاصده، وفق أحكام الله وهداه كما قال الله تعالى لأبينا آدم عند هبوطه من الجنة ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[15] إنّ ضعف الإنسان أمام الإغراءات الماديّة الدّنيويّة يتحتم عليه السّلوك في طريق التربيّة، والتعليم وفق الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى، ولكي يقوي على مقاومة الضلالة والفساد، ورفع الموانع التي تمنعه من وصوله إلى الكمال، وهذه التربية لا تستند فقط إلى مبادئ نظرية لا صلة بها بالواقع، بل تتخذ منها طريقًا ومنهجًا وسلوكًا، عمليًّا تترك آثارها على نفس الإنسان، وكذلك تتجلّى ثمراتها في المجتمع.

مفهوم التربية في فكر الإمام علي (عليه السلام): نريد الحديث هنا عن مفهوم التربية من وجهة نظر الإمام علي بن أبي طالب(ع) لنكون على بينة من أمر التربية التي نقصدها في البحث. فالإمام علي(عليه السلام) يبدو أنّه يرفض نظريات الأقدمين من المربّين فيما ذهبوا إليه من معنى التربية وأهدافها؛ فهو يعتقد بأنّ كثرة العلوم لا تغني ولا تعوّض عن العمل وحسن الإتجاه والسيرة الخيرة والإمام(عليه السلام) لا يريد العلم من أجل العلم أو من أجل شيء آخر؛ إنما يريده من أجل التغيير والتّبديل، والنمو لذلك لم يؤمن بالكمية من دون النّوعية والنّوعية بمن دون فاعليّة.

ومن خلال هذا المفهوم التربوي يرى الإمام(ع) أنّ الإنسان هو الغاية الأخيرة لهذه الموجودات ومن أجل ذاته خلق الله ما خلق من طبيعة، وكون ووجود وعبر الإمام عن غاية التربيّة بقطعة جاءت أروع وأبلغ ما عرفه البيان بقوله:«**فاللّه سبحانه قبل أن يخلق الإنسان خلق الكون ورتبه أحسن ترتيب ونظمه أجمل تنظيم ومهد الأرض وأتم مرافقها على أكمل وجه، فخلق فيها الهواء الطلق وأجرى فيها العيون والأنهار، وأعد أنواع الأطعمة والأشربة**»[16].

واستنادًا إلى هذه العبارة فإنّ الإمام علي(ع) يخاطب الأجيال بما يوقظهم على أن الحياة الحرّة لا تطبق من القيود إلا ما كان سببًا في مجراها وواسطة لبقائها وقبسًا من ضيائها وناموسًا من نواميسها، وأنها لا يطيب لها البقاء في مهد الأمس فعليهم ألا يحاولوا وتقديمها وإلّا انقلبت إلى فناء.

ملاحظة الإمام علي(ع) الدّقيقة والعميقة للحياة، ونواميسها مكّنت في نفسه الإيمان بثورية الحياة المتطلعة أبدًا إلى التّطور والنّمو. فترتب على ذلك إيمان عظيم بأنّ الإحياء يستطيعون أن يصلحوا أنفسهم وذلك بأن يماشوا قوانين الحياة، ويستطيعون أن يكونوا أسياد أمصارهم

وذلك بأن يخضعوا لعبقرية الحياة (نفس المصدر) وبهذا يكون الإمام علي(ع) قد وضع مفهومه عن ماهية التربية، وأهدافها وطبيعتها فهو يلخّص التربية بمفهوم الإيمان بمبدأ التّكيف العاقل وأعداد للبيئة من جانب المتعلم؛ والعمل على بناء الإنسان بما جاء به الإسلام، ومنهج الدّين الإسلامي والسُّنة والعمل بمنهج وسنة الرسول محمد(ص). والتربية بناء وإصلاح للفرد والمجتمع وتنظيم لعلاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه. ولهذا نجد أنّ القرآن الكريم حينما تحدّث عن هدف بعثة النّبي الخاتم(ص) أعطى للتّزكية والتّربية المكانة الأولى ومن ثم أردف بالتعليم فقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[17].

مبادئ المنهج التربوي عند الإمام على(عليه السلام): ينطلق الإمام(ع) في منهجه التربوي وفي نظرته إلى الإنسان من أسس ومبادئ بديهية يضع على أساسها المنهج في تربية الإنسان وإعداده للمجتمع، ومن تلك الأسس والمبادئ المهمّة كالآتي:

١. **مبدأ: الإنسان موجود يجمع في نفسه بين الأضداد**: الإنسان موجود يجمع في نفسه بين الأضداد، فهو يجمع بين القوة والضعف والعقل والشّهوة، فهو القوي بعقله وفعاليته، ولكنه هو الضعيف في نفس الوقت الذي «**تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة**»[18] ففي أعماق نفسه تتصارع قوى الخير والشّر فهو يجمع إلى جانب العواطف والأهواء والغرائز العقل والفطرة، وحياته تعتريها حالات متضادة نتيجة للصراع بين قواه العقلية والعاطفيّة، فيمكن أن يرتفع إلى كماله اللائق به إذا ما جعل من عقله القائد والمدير والمدبّر لسلوكه واعماله، ويمكن أن ينحدر إلى مستوى البهيميّة إذا ما جعل من غرائزه هي التي تتحكم به، وتسليطًا للضوء على طبيعة المعركة مع النّفس، وتحديد أطرافها ومواقعهم يقول الإمام علي عليه السلام: «**العقل صاحب جيش الرحمان، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما فأيهما غلب كانت في حيزه**»[19]

فمن خصوصيات المنهج التربوي المهمّة في فكر الإمام عليه السّلام هي ضرورة تقوية قوة العقل والتوازن بينهما وبين العواطف والغرائز، وإعطاء كلّ منهما حقّه في الكمال وقد أشار أمير المؤمنين إلى هذه الميزة التربوية فقال(ع): «**لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه، وهو القلب، وذلك أن له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه**

الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التّحفظ وإن غاله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمر استلبته الغرّة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته الفاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعدت به الضعة، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد»[20].

فالتربية لها خصوصيّة فريدة، وهي قدرتها على التزكية وتحويل الإنسان إلى عالم الملائكة أو أفضل، وذلك إذا انتهجنا منهجًا تربويًّا صحيحًا ينطبق مع أصول تربوية وقواعد في فطرة الإنسان، كما يمكن أن تنحدر به إلى مقام أرذل من الأنعام والبهائم، وذلك إذا لم يكن المنهج التربوي يعتمد على أصول تربوية صحيحة، وقواعد تنسجم مع فطرة الإنسان، ويمكن تشبيه حالة الإنسان هذه بلوحة خالية وقد أعطانا الله تعالى كل أدوات الرّسم وترك لنا الحرية، والاختيار في رسم أيّ صورة نريد أن نعيش بها حياتنا الأبدية الخالدة، إمّا في الجنة كاملين متنعمين أو في جهنم معذبين مخلدين والمفلح هو الذي يستطيع أن يزكي نفسه كما قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[21].

فالإنسان لا يميل بطبعه إلى الخير أو إلى الشّر، لأنّه قادر على فعل الخير كقدرته على فعل الشّر، ونوع التربية التي يتلقاها الإنسان هي التي تجنح به نحو الخير أو الشّر. ولقد أعطى (عليه السلام) القدوة التي يجب أن تحتذى لحسم صراع النفس مع شهواتها لصالح الإنسان الفاضل وكانت وصاياه ومواعظه تصبّ في هذا الإطار فيقول في وصية إلى شريح بن هانئ: «**واعلم أنك لم تردع نفسك عن كثير ممّا تحب مخافة مكروه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزواتك عند الحفيظة واقمًا قامعًا**»[22].

٢. مبدأ: مقارنة العلم بالعمل

هذه ميزة وخصيصة مهمة أخرى في المنهج التّربوي عند الإمام علي(عليه السلام) وتستند هذه الميزة والخصيصة إلى القرآن الكريم نفسه، وقد أشار الله تعالى إليه في كثير من الآيات القرآنيّة فقد قرن الإيمان والعلم بالعمل، وقلّما نجد آية في القرآن تشير إلى فلاح الذين آمنوا إلّا وقرنها الله تعالى بالعمل: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[23] وهذا المنهج التّربوي العملي أشار إليه أمير المؤمنين كأحد الخصائص بالغة الأهميّة في التّربية، فالعلم والمعرفة القائمة على التّصورات فقط لا قيمة لها، بل أحيانًا تكون وبالًا على

صاحبها ولا يترتب عليها أدنى منفعة، بل قد تؤدي إلى مهلكة للإنسان تصيبه بالأوصاف الرذيلة كالكبر والغرور، والتّرفع عن الآخرين وغيرها من الصفات الرّذيلة التي نهى عنها الإسلام. وقد أكد أمير المومنين عليه السّلام على الخصوصية في بعض كلماته حيث قال: «**خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع**»[24]، وقال كذلك يقول(ع): «**أوضع العلم ما وقف على اللسان، وارفعه ما ظهر في الجوارح والأركان**»[25].

وكثيرة هي الخطب والكلمات التي تضمنها كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، وهي تدعو وتحث على العلم والعمل ولهذا قال الإمام أميرالمؤمنين(ع) «**العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل**»[26]، فليس المهم من وجهة نظر الإمام(ع) كثرة العلوم النظرية، لأنّها لا تغني عن السّلوك الحسن والسّيرة الخيرة، فالمعيار هو الأحسن لا الأكثر، فالتربية التي تعتمد الكميّة في أساليبها لا تجدي نفعا ما دامت لا تستند إلى الكيفية والنوعيّة، وهذه النّوعية يجب أن تقترن بالعلم، التّغيير والنّمو في شخصية الفرد والمجتمع كما يقول(ع): «**لاتجعلوا علمكم جهلًا ويقينكم شكًا، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فأقدموا**»[27]، فهو يرى أن كثرة العلوم لا تغني ولا تعوض عن العمل وحسن الاتجاه والسيرة الخيرة، فالإمام عليه السلام لا يريد العلم من أجل العلم أو أجل شيء آخر إنما يريده من أجله التّغيير والتّبديل والنمو لذلك لم يؤمن بالكمية على حساب النوعيّة والكيفيّة.

٣. **مبدأ: التفكر والتدبر**: التفكير ضرورة تربوية مهمّة في المنهج التربوي للإمام علي(عليه السلام)، فهو مقدمة ومحرك للعمل الصالح، فالتفكير هو إحدى المكونات الرئيسة للنظام المعرفي والتّربوي للانسان، وأهميته تكمن في إعطائه القدرة على تنمية الفكر الإنساني، وانطلاقه من الجهل وتحريره من الجمود والتّقليد، والتّدبر في عواقب الأمور ونتائجها. وقد أشاد الإمام(ع) بالتفكر الصحيح ودعا إلى تنميته، لأنّ الفكر جلاء للعقول، كما أنّه يفيد الهداية والرّشد واليقظة والاستبصار، ويعصم عن الضلال والشّك، وكثيرة هي الكلمات والحكم التي صدرت عنه بهذا الخصوص إذ يقول: «**الفكر يهدي**» و«**الفكر عبادة**»، و«**الفكر رشد**» و«**الفكر ينير القلب**»[28] والإمام(ع) يجد في التفكير إنارة للقلب ومن خلالها تكون لدى الانسان القدرة على كشف الحقائق وتخليص العقل من الأوهام والأساطير، كما وأنّه يرى فيه الهداية والرّشد والرأي السديد ليس ذلك فحسب، بل أن العلم الحاصل عن التفكير هو من أشرف العلوم وأكثرها ثباتًا ودقة، لذلك

كان التفكير أحد العوامل الرئيسة في عملية التربية والتعليم. وقد قرن عليه السلام بين التفكير والرّشد، والهداية وبين العلم الرفيع الذي بني على أساس التفكير وجعل افضل العلم هو المستند على الفكر والتأمل فقال(ع): «**لا علم كالتفكير**»[29].

وأشار الإمام علي(ع) إلى آثار التّفكر والتدبر، وأنّه يفضي إلى أن يزدهر مصباح الايمان والهداية في قلب الانسان المؤمن المتفكر، من ذلك قوله: «**عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه، عبدًا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعد القرى ليومه النازل به فقرّب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد، نظر فأبصر، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده، فشرب نهلاً، وسلك سبيلًا جددًا، قد خلع سرابيل الشّهوات وتخلى عن الهموم إلّا همًّا واحدًا انفرد به. فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، وقد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبل بأمتنها. فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس، قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور، من إصدار كل وارد عليه، وتصيير كل فرع إلى أصله، مصباح ظلمات، كشاف عشوات، مفتاح مبهمات، دفاع معضلات، دليل فلوات، يقول فيفهم، ويسكت فيسلم، قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه. قد ألزم نفسه العدل فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه. يصف الحقّ ويعمل به، لا يدع للخير غاية إلّا أمّها، ولا مضنة إلا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحل حيث حل ثقله، وينزل حيث كان منزله**»[30].

٤. مبدأ: ذكر الله تعالى

واحدة من المبادئ التربوية المهمة في المنهج التربوي عند أمير المؤمنين هو ذكر الله تعالى في كل وقت وحال، ويعدُّ هذا الذّكر أساس لجميع الآثار التربويّة والمعنويّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، ويشير القرآن الكريم إلى الأثر التّربوي والروحي للعبادة وللصلاة على وجه الخصوص، فيقول سبحانه: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**»[31] وقال تعالى أيضًا:«**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[32]" ويشير بهذا إلى أنّ المصلي الذاكر لله لا ينسى أنه هو عبد مراقب من الله الذي يرى، ويسمع وهو أقرب إليه من نفسه. إنّ ذكر الله يجلو القلب ويصفيه ويزكيه ويطهره، ويعدّه لإجراء الحكمة فيه وعلى لسانه، قال الإمام علي(ع) في أهمية الذكر: «**إن الله تعالى جعل**

الذكر جلاءً للقلوب، وتسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به المعاندة. وما برح لله في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات: رجال ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم»[33] وقد بين الإمام(ع) في هذا الكلام الأثر الغريب لذكر الله في القلوب، حتى أنها قد تستعد بذلك لتلقّي الإلهام من الله سبحانه والكلام معه.

هذه باختصار هي أبرز معالم التربية الخلقيّة التي اعتمدها الإمام علي(عليه السلام) في سبيل إعداد الإنسان العالم المؤمن الذي اهتدى بنور العلم، والإيمان إلى نهج السبيل الحق وتغلب على نفسه الأمارة بالسوء، وسلك طريق العلم والعمل بوحي من ضميره الخلقي، وحقّ له أن يكون من خلفاء الله في أرضه، الذي يخضع فكرًا وسلوكًا لأحكامه وتعاليمه، وخصائص هذا المنهج التربوي تنطلق من مفهوم شامل للتربية تتناول الإنسان بمختلف أبعاده، وتنظر إليه كوحدة متكاملة تبرز حقيقته وطبيعته الإنسانيّة ناظرة إلى الهدف النهائي والغائي للكمال الانساني الدنيوي والأخروي.

أهداف المنهج التربوي عند الامام علي (عليه السلام): إنّ اهتمامه (عليه السلام) بالتربية بجوانبها جميعها، إنّما ينمّ عن عمق في التفكير، وسعة في الاطلاع ودقة في الملاحظة، بها امتاز وتفوّق على سائر معاصريه، ومن أبرز مظاهر تفكيره ذاك التّسلسل المنطقي، والتّماسك الفكري الذي نراه باديًا في خطبه، وكلماته في نهج البلاغة إذ إنّ كل فكرة هي نتيجة طبيعيّة لما قبلها وعلّة لما بعدها. ولقد كانت غايته من وراء ذلك ليس إبراز مقدرته الفكريّة واللغويّة والعلميّة، وإنما تشجيعًا لقومه على التفكير، وتحريرهم من رقدة الجهالة، وتنويرهم بالعبر والأحداث حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعيشوا في رحاب العلم والمعرفة وما ذلك إلّا لأنّ الفكرة تورث النور والغفلة تورث الظلام، فهو يهدف في منهجه التّربوي إلى أهداف بعيدة المدى، ومؤثرة في السّلوك الفردي والاجتماعي غاية التأثير ومن تلك الأهداف المهمّة التي يصبوا إليها الإمام (عليه السلام) من خلال منهجه التربوي هي كالآتي:

أولاً: الدعوة إلى العدل بجميع أنواعه: من الأهداف التي احتواها المنهج التربوي عند الإمام علي (عليه السلام) هو إشاعة العدل في المجتمع البشري، فلا شك أنّ العدل من الدّعائم الأساسيّة للحياة البشريّة، والمجتمع الذي لا يحكمه العدل ويسوده الظلم والاجحاف هو مجتمع تنعدم فيه روح الإنسانيّة، ولذا فإنّ أرقى مهمة تكفل بتحقيقها الأنبياء هي العمل على تربية المجتمعات البشرية، وإنقاذهم من الجهل والظلم والاستبداد، فالهدف من التربية

الفرديّة والاجتماعيّة هو إصلاح النوع الإنساني، وإرساء قواعد العدالة ومفاهيمها بمكوناتها كلّها في المجتمع؛ فالمجتمع الذي تسوده تربية اجتماعيّة صحيحة يرفض مهادنة الباطل على حساب الحقّ، ويهدف إلى صيانة الحقوق الاجتماعيّة على أسس ومقاييس حقيقية. وفي كلام له (عليه السلام) عندما سئل عن أيّهما أفضل العدل أم الجود؟ فقال عليه السلام: «**العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها عن جهتها، والعدل سائس عام، والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما**»[34].

ولعل مقومات العدل المهمّة في المنهج التربوي لأمير المؤمنين(عليه السلام) هو الحاكم العادل، لذا نجد أن الامام علي(ع) قد حدّد صورة الحاكم وصفاته، وما ينبغي أن يتحلى به من عناصر تربوية تساعده على القيام بمهامه على أحسن ما يكون، فقال عليه السلام: «**وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ، فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ**»[35].

ثانيًا: تقوى الله

تعدُّ (التقوى) في كلمات والمنهج التربوي للإمام (عليه السلام) هدف جوهري تتمحور حوله أكثر كلماته وخطبه، فهي من أكثر الكلمات استعمالًا في نهج البلاغة، فليس هناك كتاب يركّز فيه على التّقوى كما ركز نهج البلاغة، وليس هناك في نهج البلاغة مفهوم أو معنى اعتنى به أكثر من التّقوى. والتّقوى من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب ولاسيما عن الحدود المحرمة التي أمرنا الله تعالى بعدم تجاوزها، ولا شك أن الحذر والاجتناب هو من أصول الحياة للإنسان العاقل. فمفهوم التّقوى في المنهج التربوي عند الإمام أمير المؤمنين هو بمعنى قوة روحية تتولد في الإنسان نتيجة للتمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب، فالحذر المعقول والمنطقي يكون مقدمة للحصول على هذه الحالة الرّوحيّة، وهو - من ناحية أخرى - من لوازم حالة التقوى ونتائجها. إن هذه الحالة تهب للروح قوة ونشاطًا، وتصونها من الانحراف والسقوط والانزلاق نحو الهاوية. ويصف الامام(ع) التقوى بأنّها حالة روحيّة معنويّة من آثارها ضبط النفس وامتلاك أزمتها، وأنّ من لوازم اتباع الهوى وترك التقوى هو ضعف النّفس أمام هواها، وأن فاقد التقوى حينئذ يكون انسان ضعيف لا إرادة له في إدارة نفسه وهواه،

بل الشّهوات والهوى هو الذي يسيره حيث يشاء، وأن من لوازم التقوى قوة الإرادة وامتلاك الشّخصية المختارة إذ يقول(ع): «**ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم؛ إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن التقحم في الشبهات.. ألا وإن الخطايا خيل شُمس حمل عليها راكبها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار.. ألا وإن التقوى مطايا ذُلُل حمل عليها راكبها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة**...»[36] ويقول الإمام(ع): «**إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم**»[37].

ولأهمية التقوى البالغة في التربية الإنسانيّة الإيمانيّة نجده(ع) يشدد على التّقوى في الكثير من خطبه وكلماته، بل يمكن القول إنّه ما ترك فرصة إلّا وأكد هذه الصفة والخصلة المهمة والمؤثرة في المنهج التربوي، فالتقوى هي التي تهب النّفس القوة والنّشاط، وتصونها عن الانحراف والشطط، وتدفع بها إلى ملكوت الله حيث السعادة الأبديّة، والواضح من كلماته(ع) أنّ التقوى لا تعني ترك المجتمع واعتزاله، بل هي توحي إلى الإنسان بأن يتقي الله في دنياه، ويعمل لدنياه كما لآخرته، ويعيش حياته بكل بساطة وقناعة، ويؤدي المسؤولية والوظيفة التي تحملها بأمانة وعدم الاستفادة غير المشروعة من الفرص المتاحة أمامه من خلالها بل يكتفي بما يأتيه من الحلال، وهذه هي التقوى الاجتماعيّة التي يريدها أميرالمؤمنين، فهي تقوى تفاعليّة اجتماعيّة ورابطة حيويّة تنبع من المسؤولية بالتّعهدات الاجتماعيّة والمطالب الحياتية للناس كافة، هذه المشاركة في الحياة تفرض على الإنسان أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه، وأن يرضى للآخرين ما يرضى لنفسه.

ثالثًا: نقل التراث الثقافي

إن تحليل معنى المجتمع والثقافة وعلاقة الشّخصيّة بهما يبين لنا أهمية العملية الاجتماعيّة التي تنتقل بها آداب السلوك العامة، والقيم والمعاني والأنماط الثقافية من خلال الأجيال المتعاقبة. ومن الواضح لدينا أن المجتمع الذي يريد لنفسه البقاء، والاستمرار إنّما يتأتى له ذلك بفضل عملية النقل والاتصال الثقافي ويكون ذلك عن نقل الثقافات والأعراف والتّقاليد إلى الصغار الناشئين. ويبدو أن الإمام علي (عليه السلام) شدد كثيرًا على هذه النّاحية كما يظهر في كلامه مع ابنه الحسن (عليه السلام) يقول: «**أيّ بني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما أنتهي**

إلى من أمورهم، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهولة»[38].

فوظيفة التربية في هذا المجال تكمن في تنمية الاتجاهات، والقيم المنتقاة في ضوء الأهداف العليا لذلك المجتمع وعلى المربي العظيم أن يمنح ابنه مقومات التغيير الاجتماعي من دون غموض، وشوائب فبادره بالتعليم قبل أن يلجأ للمجتمع المتضارب الرأي فيغوص في غمار الشبهات بلا دراية ولا معرفة[39].

رابعًا: التغيير

ونقصد بالتّغيير الانتقال من حالة معينة إلى غيرها أو من مستوى معين إلى مستوى آخر جديد، ويتضمن التغيير عادة القبيح والحسن والتقدم والتأخر والذي نعنيه هنا هو تغيير نحو الأحسن، إنّ روح الإصلاح والتغيير التي تنبعث من كلمات الإمام علي (عليه السلام) وتتأكد في مواقف ومناسبات عديدة، تقابل بالإصرار على العنف، والرفض والمعاناة كما يقول (عليه السلام): «**فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا العذب، وأحلسونا الخوف واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب**»[40] ثم إنّ التّغيير الذي يهدف إليه الإمام(عليه السلام) في منهجه التربوي يشمل التغيير الفردي والاجتماعي على حد سواء.

أ- **التّغير الفردي**: إنّ التّغير الذي تحدث التربية في نفسيّة الفرد، إنما هو بداية للتحول العظيم الذي سيطال المجتمع ككل. وبما أنّ للقيادة دورها الهام في إحداث التّغيير المطلوب، فإنّ الاقتداء بها أمر يساهم في سرعة هذا التّغيير. ولقد أعطى (عليه السلام) القدوة التي يجب أن تحتذى لحسم صراع النفس مع شهواتها لصالح الإنسان الفاضل، وكانت وصاياه ومواعظه تصب في هذا الإطار فيقول في وصية إلى (شريح بن هانئ): «**واعلم أنك لم تردع نفسك عن كثير ممّا تحب مخافة مكروه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعاً رادعـاً، ولنزواتك عند الحفيظة واقمًا قامعًا**»[41].

وردع النّفس عن شهواتها يستلزم الزّهد في الدنيا، وما أكثر الخطب والمواعظ التي أوردها الإمام في الزهد تشبهًا بحياة الرسول والاقتداء به حتى قال فيه عمر بن عبد العزيز: «**ما علمنا أنّ أحدًا كان في هذه الأمة بعد النبي أزهد من علي بن أبي طالب**»[42] ولا شك أنّ السّيطرة على أهواء النّفس والزهد في الدنيا من أكثر الأمور المشجعة على السلوك الفاضل. والتربية

التي نعتمدها، إنما تساهم في تنمية الحسّ الخلقي للفرد وصياغة فكره قوالب معينة وبفضل التربية ينتقل الإنسان من بيداء الجهل إلى ميادين العلم، والمعرفة كما في وصية الحسن (عليه السلام): «**فإنّك أول ما خلقت به جاهلاً ثم علمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك، ويضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك**»[43].

ب- **التّغيير الاجتماعي**: إنّ التغير على مستوى المجتمع لا يكون بالصورة التي يتمناها رواد التربيّة، فقد يكون سهل المنال وقد يقاوم بمعارضة شديدة، والمقاومة هي الأكثر حصولًا لتشبث القديم بقدمه، ورغبة الجديد في التطور والتقدم. وهذه حال رواد الصلاح والتغيير في العالم. وقس على ذلك حال الأنبياء والرسل والأئمة، والتاريخ يشهد بذلك. لقد جاوبه الإمام علي (عليه السلام) بمقاومة عنيفة من الفئات التي كانت تفضل الركود والجمود حرصًا على مصالحها وامتيازاتها فوقفت سدًا منيعًا أمام رياح التّغيير وحاولت منعه من تنفيذ برنامجه في الإصلاح، وقبل ذلك وقف النبي محمد (صلّى الله عليه وآله) ومعه الإيمان كله يصد موجات الكفر والضلال التي رفضت دعوته، وأبت عليه مهمته في قهر الشرك ورسم معالم التوحيد.

خامسًا: تحصيل رضى الله تعالى

من الأهداف الأخرى التي يؤكد عليها الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) في منهجه التربوي هي العمل من أجل تحصيل رضى الله تعالى، فعلى الإنسان أن يعمل في الدنيا بكل ما يرضي الله سبحانه وتعالى لأنّ الموت أمامه والحساب ينتظره، وإذا كان الإنسان غير مثقل بذنوبه يصبح قادرًا على اللحاق بالذين سبقوه من الصالحين على عكس المرء المثقل بالسيئات، فيتأخر عن الوصول بالقرب من الصالحين وسيطول موقفه يوم القيامة على المرء أن يتخذ من الأنبياء، والمرسلين الذين سبقوه قدوة له ويسير على طريقهم وعليه أن يقدم العمل الصالح لأنّه يرفع أمامه ومن ثم يلتحق الإنسان بعد حين، لذا يقول في إحدى خطبه التربوية: «**فَإِنَّ الْغايَة أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءكُمْ الساعَةُ تَحْدُوكُمْ، تَخَففوا تَلْحَقوا، فَإِنْما يُنْتَظَرْ بِأَوَلكُمْ آخِرَكُمْ**»[44]، فكلما كان حمل الإنسان خفيفا تمكن من السير السّريع أكثر ما يساعده في أن يدرك من سبقه، فقلة الذّنوب والقبائح، والسّيئات تخفف عن العبد يوم القيامة المكوث وطول المقام بين يدي الخالق وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ وقال: ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ**»[45] ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[46].

إذن ميزان العمل بالحسن والقبيح هو من يحدد الحياة الأبدية للإنسان، إمّا خالدًا في الجنة أو النار. ومن خلال كلامه (عليه السلام) نفهم أنّ الغاية من وجود الإنسان هي السعي الحثيث من أجل الوصول إلى المبتغى أو الغاية، وهي الخلود في الجنة والراحة في النّعيم إلى الأبد.

سادسًا: التحذير من الوقوع في الفتنة

يؤكد الإمام علي عليه السلام في منهجه التربوي على أنّ الدنيا دار فتنة وفناء، فعلى الإنسان أن لايفتن فيها وعلى الإنسان أن يفعل كل ما هو خير ويتجنب الشّر فهو محاسب عليه ففي الحلال حساب وفي الحرام عقاب، قال تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[47] وقوله ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[48] كما أنّ كل عمل يقوم به الإنسان من أفعال البرّ، والقصد منه وجه الله هو فقط الباقي إلى يوم الآخرة ليرفع الإنسان ويدخله الجنة؛ والتّحذير والتذكير منه(ع) للمسلمين من الدنيا وما فيها، وما يترتب عليها من نتائج يتحمل وزرها الإنسان إذ إنّ الأخطاء والمعاصي والذّنوب التي يقترفها الإنسان في الدنيا لا يمكن أن تُمحى إلّا بأعمال فيها أيضا كالقبول بالعقوبة، أو بالندم أو بأي شكل يراه الإنسان مكفرًا عن ذنبه، فلو تركت إلى الحياة الأخرى لكان الأمر إلى الله يجزي عن الإحسان ويعاقب عن الإساءة إذ لا تكليف في حياة الآخرة، لذا نجده عليه السلام يحذر من الوقوع في فخ الفتنة التي لا ينجو منها إلا الاوحدي من الناس فيقول: «**أَلا إنَّا لدُنيَا دَارُ لايَسلَمُ مِنهَا إلاَّ فِيهَا، ولاينُجَى بشيءٍ كَانَ لَهَا، ابتلِيَ النَاسُ بِهَا فتنَةً فَمَا اخَذُوهُ مِنهَا لَهَا اخرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَليهِ، وَما أَخَذُوهُ منِهَا لِغَيرِهَا قَدِمُوا عَلَيهِ، وأقَامُوا فِيهِ، فإنها عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ كَفَيءِ الظِلِّ، بَينَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتى قَلَص، وَزَائِدًا حَتى نَقَصَ**»[49].

سابعًا: التحذير من إتباع الهوى وَطول الأَمَلْ

يقول أمير المؤمنين عليه السلام مخاطبًا لجمهور المسلمين: «**أَيها النَّاسَ إِنْ أَخْوَف مَا أَخافُ عَلَيكُمْ إِثْنَتانْ: إِتباعُ الْهَوى وَطول الأَمَلْ، فأَمَا اِتِباعُ الْهَوَى فَيَصُدْ عَنْ الحَقْ وَأَمَا طول الأمَل فَيُنْسي الآخِرَة. ألاَ وَأَنَّ الْدُنيا قَدْ وَلَتْ حَذاء فَلَمْ يَبقَ مِنْهَا إلاَ صِبابَةَ كَصِبابَة الإناء أَصْطَبَهَا مَابِها إلاَ وأَنَّ الآخِرَة قَدْ أَقبَلَتْ وَلِكُلُ مِنهُمَا بَنون فَكونوا مِنْ أَبنَاء الآخِرَة وَلاَ تَكونوا مِنْ أَبناء الْدُنيا فَإنَ كُل وَلَدْ سَيَكُون بِأَمرِه يَومَ القِيامَة وَإنَّ اليَوم عَمَلْ وَلاَ حِساب وَغَداً حِساب وَلاَ عَمَلْ**»[50]، فالهدف الذي يصبو إليه من هذا الكلام هو التحذير من إتباع

الهوى والانجرار وراء الرغبات، والشّهوات التي تذهب بالإنسان إلى الهلاك وخسارة الدنيا والآخرة، وهذا ما جعله (عليه السلام) يخشى ويتخوف علينا من أن نتبع أهواء أنفسنا كون النّفس لها مآرب، ومطالب تخالف ما أراده الله لنا وهذا ما ورد على لسان يوسف في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[51] فكيف بنفس الإنسان الذي لا يملك العصمة فعليه أن يجاهد النفس ولا يتركها على هواها وورد هذا المعني في أكثر من آية كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾[52] وقوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[53] إذن على المسلم أن يعرف عيوبه من خلال غيره لأنّه لايكاد يرى عيب نفسه ولو رآه عيبا ما فعله، وأن يتجنب طول الأمل فمن يقضي الوقت غارقًا في الأحلام وما يرجو حصوله منها في المستقبل، ويسوف لنفسه في العمل ويشغلها بالتّعلل والعلل ولازال هناك متسع من الوقت، فينشغل عن ذكر الله سبحانه وتعالى وينسى الآخرة. وعلى المسلم أن يعمل كل ما بوسعه من خير وتقوى في دار الدنيا الفانية لدار الآخرة الباقية التي هي يوم الحساب، وحرص أميرالمؤمنين(عليه السلام) على المسلمين وكيفية فرسم طريقا لمسيرتهم في الدنيا والآخرة.

الخاتمة: يمكن في الختام أن نخلص إلى النتايج الآتية:

1 - يعد الإمام علي(عليه السلام) النّموذج البارز والقدوة الحسنة بعد رسول الله (ص) من الجانب الخلقي والإجتماعي والتربوي.

2 - استخدم الإمام علي (عليه السلام) كثيرًا من الأساليب التربوية في مقامات مختلفة، ما يفيد كل العاملين في المجال التربوي، وعالج (عليه السّلام) كيفية تربية الفرد من خلال دعوته إلى حفظ جوارحه وعدم استخدامها في معصيته، لأنه مسؤول مسؤولية مباشرة عن كل تصرفاته.

3 - أنّ هدف التربية الإسلامية إيجاد المواطن الصالح.

4 - أنّ مفهوم التربية الإيمان بمبدأ التكيف العاقل، وإعداد للبيئة من جانب المتعلم والعمل على بناء الإنسان بما جاء به

الإسلام ومنهج الدّين الإسلامي، والسّنة والعمل بمنهج وسنة الرسول محمد (ص) والتربية بناء، وإصلاح للفرد والمجتمع وتنظيم لعلاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه.

5 - يعتمد المنهج التربوى في فكر الإمام علي(عليه السلام) على مبادئ وأهداف أهمها مايلي:

أ- المبادئ

1. مبدأ: الإنسان موجود يجمع في نفسه بين الأضداد.
2. مبدأ: مقارنة العلم بالعمل.
3. مبدأ: التفكر والتدبر.
4. مبدأ: ذكر الله تعالى

ب- الأهداف

1. الدعوة إلى العدل بجميع أنواعه.
2. تقوى الله.
3. نقل التراث الثقافي.
4. التغيير.
5. تحصيل رضى الله تعالى.
6. التحذير من الوقوع في الفتنة.
7. التحذير من إتباع الهوى وَطول الأَمَلْ.

الهوامش

1. (ابن منظور، 1375: 143/12 و383/2) (زبيدي، 1414: 251/1)
2. (راغب اصفهاني، 1412: 506)
3. (المائدة: 48)
4. (طريحي، 1408: 500/2)
5. (بدوى، 1977 م:3)
6. (المظفر، 2006: 214)
7. (الحيدري، 1426: 311)
8. (الحيدري، 2012: 41/1)
9. (الفضلي، 1992: 49)
10. (ابن منظور، 1375ق، ٣٠٤/١٤)
11. (الزبيدي، 1414: ٢٦١/1)
12. (مسعود، 1992: ٧١٢/1)
13. (كامل، 1386: ١٧٦)
14. (الغزالي، 1431: 37)
15. (البقرة: ٣٨- ٣٩)
16. (اديب، 1967: 32)
17. (الجمعة: 2)
18. (ابن ابي الحديد، 1967: ٢٨٤/19)
19. (نفس المصدر: 164)
20. (الري شهري، 1422: ٤٠٥/6)
21. (الشمس: 9)
22. (ابن ابي الحديد، 1967م: 16/ ٥٦)
23. (الكهف:107)
24. (ابن ابي الحديد، 1967: ٦٤/16)
25. (نفس المصدر: ٢٤٥/18)
26. (نفس المصدر، ٢٨٤/19)
27. (نفس المصدر: 164)
28. (الآمدي، 1410: ٤٣)
29. (ابن ابي الحديد، 1967: ٢٧٦/18)
30. (نفس المصدر: ٨٤)
31. (العنكبوت: 45)
32. (طه: 14)
33. (ابن ابي الحديد، 1967: 217/11)
34. (نفس المصدر: 164)
35. (الشريف المرتضى، 1380: 131)
36. (ابن ابي الحديد، 1967: ١٦/18)
37. (نفس المصدر: ١١١/16)
38. (نفس المصدر: 67/16)
39. (الأديب، 1967: 55-58)
40. (ابن ابي الحديد، 1967: 47/14)
41. (ابن ابي الحديد، 1967: 138/17)
42. (المظفر، 1412: ج345/2)
43. (ابن ابي الحديد، 1967: 74/16)
44. (ابن ابي الحديد، 1967: 197/1)
45. (الأعراف: 8-9)
46. (المؤمنون: 102)

47. (إبراهيم: 51)
48. (غافر: 17)
49. (ابن ابي الحديد، 1967: 96/5)
50. (ابن ابي الحديد، 1967: 440/2)
51. (يوسف: 53)
52. (النساء: 135)v
53. (ص: 26)

المصادر

1. **القرآن الكريم**
2. الآمدي، عبد الواحد بن محمد تميمي، (1410ق). **غرر الحكم ودرر الكلم**، تصحيح: سيد مهدي رجائي، قم: دار الكتاب الاسلامي.
3. أديب، على محمد حسين، (1967م). **منهج التربية عند الإمام على**، بيروت: دارالكتاب العربى.
4. ابن ابي الحديد، عزالدين بن هبة الله بن محمد، (1967م). **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، بيروت: دار احياء الكتب العربية، الطبعة الثانية.
5. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، (1375ق). **لسان العرب**، بيروت: دار الصادر.
6. بدوي، عبد الرحمن، (1977م). **مناهج البحث العلمي**، الطبعة 3، الكويت: وكالت المطبوعات،.
7. جبران، مسعود، (1992م). **الرائد(معجم لغوي عصري)**، بيروت: دارالعلم للملايين.
8. الحيدري، سيد كمال، (2012م). منطق فهم القرآن، **الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي**، الطبعة الأولى، قم: مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة.
9. الحيدري، سيد كمال، (1426ق). **مناهج المعرفة عند الإسلاميين**، قم: دار فراقد للطباعة والنشر.
10. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، (1412ق). **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.
11. الري شهري، محمد، (1422ق). **ميزان الحكمة**، قم: دار الحديث.
12. الزبيدي، محب الدين أبي الفيض، (1414ق). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر.
13. سلمان، كامل، **التربية**، (1386ش). طهران: نشر آفاق.
14. الشريف الرضي، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي، (1380ق). **نهج البلاغة**، تحقيق فارس تبريزيان، إيران: مؤسسة دارالهجرة.
15. الطريحي، فخرالدين، **مجمع البحرين**، (1408ق). تحقيق: أحمدالحسيني، بيروت: مكتب الثقافة الإسلامية.
16. غزالي، ابوحامد، (1431ق). **رسالة أيها الولد**، بيروت: دار البشاير الاسلامية.
17. الفضلي، عبدالهادي، (1992م). **أصول البحث**، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة دار المؤرخ العربي.
18. المظفر، محمدحسن، (1412ق). **فضائل اميرالمؤمنين وامامته**، بيروت: دار احياء التراث العربي.
19. المظفر، محمدرضا، (2006م). **المنطق**، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات.